إلهام سعيد فريحة فاجأتنا بكتابها الأول تحت عنوان (أيام على غيابه).:
اعتقدتُ لدى استلامي الكتاب الأكثر شياكة في شكله بين كتبِ مكتباتي في مكاتبي وبيوتاتي..
اعتقدتُ أنه من نتاجات موضة إصدارات الكتب الكثيرة هذه الأيام لشخصيات، لكن وما أن تناولته لأقرأ وأكتب عنه رأياً، حتى غرقتُ فيه، وقررتُ تأجيل كتابة ما يجب أن أكتب، إلى أن أجبل بإلهام فريحة، التي وكلما قلّبتُ صفحة في كتابها المؤلف من ٢٣٦ صفحة، كلما شعرتُ بأنني فزت بكاتبة عظيمة في بلدي، أفخر بها ولها.
ما أحلاكِ أيتها الكبيرة في كلّ شيء.
واخترتُ بعد إذنك وبعد إذن الزملاء في دار الصياد، هذه القطعة من كتابك (أيام على غيابه) لتكون عروس صفحتنا الأخيرة لهذا الأسبوع.

خطأ العابر يدوم
أما خطأ الأصيل فَيَعبُرْ

جلسنا في مجلسِ ما بعد الإفطار في أبو ظبي، وما أحلى رمضان في هذه الإمارة السمحاء، حيث كلّ الجلسات تعقَد لدى (كبيرة القوم)، فتجتمع العائلة ونخبة من صديقات العمر، وتكون المجالس صغيرة وضيّقة بين أفرادها.

وكانت (كبيرة القوم) صاحبة المقام الأول والقدرة والرؤية نظراً للخبرة الطويلة التي عاشتها وعايشتها مع قرينها، الذي ضاهى رجال العرب بفكره وحكمته وحنكته ورؤيته الثاقبة في قيادته للأمة.

في هذا المجلس لا كلام إلا عن الروح التسامحيّة وهو يُضفي إلهامه على العقول.

من وحي هذا الجو العابق بالإيمان وصفاء النفس والذهن، بادرتُ إلى سؤال كبيرة القوم والمهابة والقدرة على التسامح، فسألتها:

هل نُسامح عابر سبيل على الإساءة للكرامة؟

فانتفضَت وقالت:

يا صديقة عمري، من خلال ما عرفته ونهلته وكسبته من (حكيم العرب)، فإنه لا يُسامَح إلا مَن عايشناه على مدى عقودٍ أخاً وصديقاً ووفيّاً، متعاطفاً معنا بكل القضايا المصيريّة والدقيقة والحساسة، غيرَ متلوّنٍ وغير متقلّبٍ، بل وضوح في العلاقة وصدقٌ في التعامل.

وتابعت موجهةً كلامَها إليّ مباشرةً:

هذا كلام كبيرة القوم

يا صديقة عمري، إذا أخلّ هذا الإنسان بعد هذه العقود، وارتكب خطأً هو أقرب إلى الهفوة، وأقرّ بخطئه غير المقصود، فوالله عليه أمان المسامحة، أما إذا كان من ارتكب الخطأ عابر سبيل يمرّ في الدنيا كحالةٍ مصلحية، فيرى في الصداقة منفعةً وفي التودّد مصلحة، وفي الشؤون المصيريّة إستفادةً، فهذا ليس منا ولا يجوز له لا التسامح ولا التصالح، ولأنه عابر سبيل فليمضِ في سبيله.

فُضَّ مجلس الشهامة والقيم والأخلاق والسيرة الحسنة، فصرت أتشوّق إلى يومٍ جديد ومجلسٍ رمضاني جديد، أغرف فيه من هذا المعين الفكري والأخلاقي الذي لا ينضب لكبيرة القوم، إنه كالنهر الهادئ الذي يجمع روافد السواقي، ليُقدّمها إلى البحر، ليُساهم قدر ما يستطيع في تحويل مياهه المالحة إلى مياه عذبة.. هكذا كلامُ كبيرة القوم:

فِكرٌ عذبٌ وجمعٌ للروافد.